بلد اهلها واراد الزوج ان يدعوها الي الدخول في طاعته والبناء بها فهل يدعي عليها في بلده حيث كان العقد او في بلدها

والذى اراه وطلبه جميع القضاة ان يبدل لفظ (توطن) في مادتي ٢١ و ٢٣ باقامته وان يبقي في مادة ٢٢ على حاله وقد كان لفظ الاقامة بدل التوطن في اللائحة القديمة. وهنا اعجل بذكر مسئلة كان العمل فيها قبل اللائحة ايسر منه بعدها وهي دعوى زوجة على زوجها بانه تركها بلا نفقة وهي في اصوان وهو في الاسكندرية مثلا معروف المقام فكان ينظر فيها على مذهب زفر في المحكمة التي تقيم الزوجة في دائرتها ويصدرها الحكم بدون اعلان الزوج ولا اعذاره متى استوفيت الشروط المسوغة للحكم ويبقي حق المعارضة للزوج عند التنفيذ لا محالة وكان في ذلك تيسير على الزوجات الفقيرات ولكن حظر هذا النوع من التيسير بعد اللائحة واري ان يبقي الامر على ما كان عليه قبلها.

باب التربية والتعليم

أميل القرن التاسع عشر

(١٩) من ابراهيم افندي هيلانه في اول مايو سنة ـ ١٨٥

تسألني في خاتمة مكتوبك عما نسمي به ولدنا. نسميه أميل اذا كان ذكراً احياء لذكر ذلك الكتاب (١) الذي كنت أقرأه لك في مطالعاتنا الليلية فكان في نفسك مبعث الطرب والاعجاب حتى اني كنت أكف عن القراءة حيناً بعد حين لاشاهد وجهك في ضوء المصباح فأتبين فيه ذلك. ياله من عهد تحفظه ذاكرتي لتلك الايام السعيدة

من البدع التي جرت بها ألسنة الاكياس(٢) من الناس منذ حين سبهسم جان جاك روسو واحتقارهم اياه فويل لهم مما يرمون به قبر ذلك الكاتب العظيم من نبال اللعن والقدح وانهم لجديرون بالرثاء لعقولهم. لم يكن ذنب ذلك الرجل الكبير سوى انه خالف سنة أهل النظر في عصره وهي اعتمادهم في اصلاح المجتمع الانساني على الرجال ومخاطبتهم

(١) كتاب جان جاك روسو المسمى أميل القرن الثامن عشر

(٢) الاكياس جمع كيّس وهو الظريف حسن الفعل

اياهم فيه بان وجه خطابه الى الوالدات والاطفال وهو أمر هداه اليه مافطر عليه من جودة الطبع وذكاء القريحة على اننا لو جردنا كتاب أميل مما فيه من العبارات الفصيحة التي امتلأت بها صحفه والشتائم الشديدة المنبعثة عن وجدان كبر عليه احتمال الضيم والهوان والحماسة في نصرة الفضيلة والانفعالات الشريفة التي كانت تعرو مؤلفه المؤمن بالله دون وحيه لانبيائه عند نظره في بدائع الصنع ومحاسن الكون — لو جردنا الكتاب من كل ذلك فما الذي يبقى لنا فيه ؟ يرجع كل ماقاله المؤلف في الطريقة التي أراد وضعها للتربية الى هذه القاعدة وهي السير على مقتضى الفطرة ومعاملة الاطفال معاملة العقلاء . نسلم له مايقول ونحن نرى ان اتباع الفطرة في كل ماتدعو اليه يفضي بالطفل الى حالة التوحش والهمجية لكن ذلك الحكيم على عدم ايمانه بالوحي كان يعتقد ان أصل الكمال في الفطرة والنقص انما يعرض لها من فساد التربية أما كلامه في خطاب العقل فلا شك انه جدير بان تصاغ له من أجله أجمل عبارات المدح تنويها بفضله ولا بدع في ان عرف له القرن الثامن عشر قدره بعد انكاره فاقام له من الآثار ماخلد ذكره وأحيا اسمه . لكن العقل من دون جميع قوى الانسان هو الذي يكون في طور الطفولية أقلها نمواً فكيف اذن يعتمد على هذه القوة الكامنة في ايصال معنى الخير الى نفس الطفل

لروسو فوق ذلك أغاليط أخرى كان يعتقد صحتها وكان من شأنها ان تعوقنا عن التقدم في أخلاقنا واوضاعنا . من هذه الاغاليط اعتقاده بوجوب الرضوخ لما للجمهور الاغلب من السلطة المطلقة فانا نجده في كتابه المسمى بالعقد الاجتماعي قد انتصر للحكومة فيما تدعيه لنفسها من حق تربية الامة بما اقامه عليه من البراهين

ألا أبين لك كيف كان نفع روسو للاطفال خاصة بما نشره في كتبه من الانتصار لهم والدفاع عن حقوقهم . كان ذلك بما ألقته تلك الكتب في نفوس الفرنساويين من بذور الثورة وهيأتها به لها .

لم يقدر الناس ما نشأ عن هذه الحادثة الكبرى في نظام الاسرة (العائلة) من ضروب التغير حق قدره فانها قد خففت من ثقل الولاية الابوية تخفيفا عجيبا على غير علم من الناس جميعا لان المؤرخين قلما يلتفتون الى ما يحصل في البيوت من تهذيب الاخلاق

وصلاح العادات فلم يكد رجال الثورتين اللتين حدثتا في سنتي ١٧٨٩ و١٧٩٢ يدركون ماكان يعتور تلك الاخلاق والعادات البيتية من الاستحالة على قربها منهم وسهولة ملاحظتها عليهم . ذلك لانه ليس في وسع أحد ان يلاحظ أعمال جميع الناس فاذا أريد الوقوف على أثر انواع هذه الاستحالة وصنوف ذلك التغير وجب الرجوع الى ما كتب من السير في اواخر القرن السابع عشر او في اوائل القرن الثامن عشر . هنالك يرى ما كان بين الزوج وزوجته والوالدة وأولادهـا من التكلف في العشرة والمقاسحة(*) والمجافاة في المعاملة . نعم ان قولي هذا خاص باهل البيوتات لاننا لانعلم شيأ من أحوال الطبقات الاخرى لكن هؤلاء لابدانهم كانوا يحتذون مثال سراة الامة وزعماء الدولة

كان البيت في ذلك العهد مؤسساً على احدى الوصايا العشر التي وصى الله سبحانه بها موسى (عليه السلام) وهي (اكرم اباك وامك) فلم يوص موسى ابداً بحبهما

كانت الزوجة في الغالب تدعو زوجها سيداً وهو يدعوها سيدة فكان تخاطبهما باسميهما مع كونه هو لذة العشرة والاختلاط لايكاد يقع منهما في حضرة الاجانب . فالثورة هي التي ادخلت في البيوت عادة التخاطب بضمير المفرد وسوت بين الولد البكر ومن يتلوه من اخوته في الحقوق فاجتثت بذلك اصول التباين والاختلاف وأعلت من شأن المرأة ورفعت من قدرها كما وثقت ما يربطها بالرجل من عقدة النكاح . اصبح البيت بحكم الشؤون ومجرى الحوادث مرجعا لاصداء المحاورات والمناقشات في المصالح العامة وصار صوت الرجل وزوجته في محادثتهما أخلص واشد مما كان قبل . كان للكنيسة في الطفل من الحقوق الى وقت قيام الثورة في سنة ١٧٨٩ اكثر مما كان لاهله فيه فان البيت كان قد استمار من الدير مافيه من صلابة المعاملة الباردة بسبب ان الوالدة في الغالب كانت تربي فيه . لااعني بذلك ان الأم ماكانت تحب اولادها قبل الثورة واعوذ بالله ان يخطر هذا بفكري ولكني مع اعتقادي حبها اياهم اعتقد اعتقاداً ثابتاً ان الثورة قد ساعدت على تخليص محبات القلوب من قيود التكلف فكما ان منشأ جميع الحركات العظامى للارض هو مافي باطنها من النار كذلك منشأ حوادث الانسان الكبرى هو مافي قلبه من الحب

(*) المقاسحة المبابسة أي المعاملة بالشدة

ذلك شأن الانسان في جميع الازمان فمن حياته في الهند حيث كان الطفل لايعتبر الا برعوماً (١) من نبات قبيلته وفي رومة التي كان الوالد فيها يملك على ولده حق حياته وموته الى ان صار الى هذه المجتمعات الحديثة التي كاد يكون للطفل فيها وجود مستقل قدرقيت الاسرة في اطوار وجودها الاصلية جميع معارج الحرية . فلا بد في تغيير شكل الحكومة واصلاحها من تغيير معنى الابوة ايضاً ورده الى حده

اطول جميع الثورات بقاء واخلدها اثراً هي التي كان لها من الزمن ما استحوذت فيه على عقول الناشئين فالاصلاح الديني مثلا وهو مذهب البروتستانت لايزال حياً في المانيا وسويسره وهولانده وانكلترا لان رجاله في هذه البلدان وفي غيرها اسعدهم الحظ بتأسيس مدارس فيها لتربية الاحداث على أصولهم وعقائدهم . أما الثورة الفرنساوية فانها على العكس من ذلك قد أعوز رجالها الزمن لتنفيذ مقاصدهم لانهم كانوا قد اختطوا على عجل وهم في مهب رياح الفتنة خطة مثلى للتعليم العام لكن أعاصير الحوادث قد دافعتهم فحيل بينهم وبين ما كانوا يقصدون

لما وضعت الطريقة التي نجري عليها الآن في التربية كانت نيران الفتنة قد خمدت ومراجل أفكار العصيان قد سكنت فعهد الى رجال الحكومة النيابية الذين حكموا على الثائرين من رصفائهم بالقتل حكم سيسيرون على كاتيلينا وأشياعه (٢) بتجديد ما اندثر من التعاليم القديمة فمالبثت هذه التعاليم ان فاضت منها على الناس أصول الحكومة الفردية أي حكومة الاستبداد وأصبحت القوة الحاكمة هي مدير المدرسة والاستاذ الاكبر لتعليم الدين ورئيس الجند الاكبر والشارع الاكبر بل الكل الاكبر الذي انحصرت فيه جميع الوظائف . ورجا الناس من هذا الاله الذي هو من صنعهم ان يضيء عقول الامة وان يصنع لهم علماء وانصاف علماء فصار التعليم الابتدائي والثانوي بل صارت جميع درجات التعليم محوطة بسياج حصين من

(١) هو الزهر قبل تفتحه (٢) سيسيرون هو مرقوس توليوس سيسيرون أشهر خطباء الرومان ولد في سنة ١٠٧ وتوفى سنة ٤٣ قبل المسيح وعين حاكما في سنة ٦٣ وأخمد ثورة كاتيلينا والحرب التي قامت بين بومبيه وقيصر وكاتيلينا شريف من أشراف روما كان جمع حزبا وثار به على مجلس الشيوخ ورومة فقهره سيسيرون

القوانين . معاذ الله أن أكون آسفا على ماأراه من انتشار العلوم وعموم المعارف ولكني ضعيف اليقين بتأثير عمل الحكومة اذا كان الغرض من التعليم هو تربية رجال أحرار فانها ماوضعت لذلك وان لاعضاء المجتمع الانساني وظائف كما لاعضاء الاجسام لايمكن تغييرها بمجرد توجيه العزيمة الى ذلك . سمعت غير مرة ان الجهل كان العقبة الكبري في طريق كمال الحرية وأنا موقن بصحة هذه القضية وسمعت ايضا ممن قالوها ان الحكومة قد قررت ان يكون التعليم مجانيا والزاميا وستكون الاحوال حينئذ على مايرام. انا لااصدق هذا واضرب الصين مثلا لاؤلئك الذين يرون في دواليب التعليم التي تديرها يد الحكومة وسيلة لتحرير العقول . يكاد كل رجل في تلك المملكة يعرف القراءة والكتابة ففيها من المدارس الابتدائية والثانوية وطرق الامتحان مايفوق الحصر والصينيون هم الذين اخترعوا فن الطباعة وهو اكثر الفنون اليدوية اثرا في قلب شؤون العالم وذلك قبل ان يعرف في اوربا بخمسمائة عام فما ذا كانت النتيجة؟ انا لاازيدعنك علما بها . لم يكن من التعليم الذى كانت الاساتذة تفيضه على الناس الا ان اتقن تحجير الاوضاع الاجتماعية وجعلها اصلب مما كانت كذلك يكون الشأن عند جميع الامم التي يكون الغرض من التربية فيها ايجاد رعايا للحكومة في القالب الذي تريده . ولو شئت لذكرت امة اوربية ليس بينها وبين الصين من هذه الجهة كبير فرق فان التعليم الابتدائي فيها يثبت كل يوم في نفوس الاطفال خلق الانقياد الاعمى بسبب تداخل السلطتين الدينية والسياسية فيه . المعلم في هذه الحالة هو نائب الحاكم الجائر . الم تري ان ديونيس (١) لما خلع من الملك اشتغل بوظيفة مدير مدرسة .

الاخبار التونسية

أشرنا في المنار الماضي الى رسالة جاءتنا من سنفابور يذكر فيها صاحبها

(١) هو حاكم جائر غاشم كان في سيراكوز افطرده منها ديون ثم تملكها ومات وهو مدير مدرسة قورنته سنة ٣٤٣ ق م